بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قاهر الجبابرة ومعز المؤمنين وناصرهم، والصلاة والسلام على خير المجاهدين وقائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

يسأل كثير من المسلمين هذه الأيام – لا سيما بعد بدأ الحرب الصليبية الجديدة الشاملة على الإسلام والمسلمين – ويقولون:

ما هو دورنا؟ وماذا نفعل لنصرة الإسلام والمسلمين؟

وكنت أعتقد أن مثل تلك الأسئلة أصبح الجواب عنها لدى المسلمين بديهياً لكثرة تكرارها، إلا أن هذا السؤال تردد كثيراً هذه الأيام، ويتردد مع كل قضية وجرح جديد للأمة، ولا أعرف ما هو سبب جهل الناس بدورهم في معركة الإسلام اليوم!

رغم أن كل قارئ لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتضح له دوره في هذه المعركة بمجرد قراءته لآيات الجهاد ونصوص السنة، ولن أستعرض النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي توضح دور كل مسلم، ولكني سأقف فقط مع نص واحد من نصوص المصطفى ﷺ وضّح فيه الرسول ﷺ دور كل مسلم بصيغة الأمر الواجبة التي لا تسقط بحال عن ذمة المكلف.

روى الإمام أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه والدارمي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)، وفي رواية النسائي: (وأيديكم)، بدل؛ (أنفسكم)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه).

قال الإمام الشوكاني في "نيل الأوطار" [٢٩/٨]: (قوله؛ "جاهدوا المشركين... إلخ"؛ فيه دليل على وجوب المجاهدة للكفار بالأموال والأيدي والألسن، وقد ثبت الأمر القرآني بالجهاد بالأنفس والأموال في مواضع، وظاهر الأمر الوجوب).

ولست بصدد تفصيل حكم الجهاد ومتى يتعين ومتى لا يتعين، ولكنني أريد أن أبين هنا مهمة كل مسلم ووظيفته في مجاهدة

الأعداء، إذ أن الرسول ﷺ ذكر في الحديث المتقدم؛ أصول سبل الجهاد ضد العدو الكافر، فذكر ثلاثة أصول من أربعة:

الأصل الأول؛ الجهاد بالنفس أو اليد وهذا أعلى مراتب الجهاد وأكملها:

وقال ابن حجر رحمه الله: (إن نصوص الكتاب والسنة إذا جاءت بذكر الجهاد مطلقاً ولم تقيده ولم تضفه إلى المال أو اللسان؛ فإنها تنصرف إلى الجهاد بالسيف، باتفاق السلف).

والجهاد بالنفس هو أعلى مراتب الجهاد، لذا فقد رتب الله عليه أكمل الأجر وعقد الصفقة ببيع الجنة للمؤمن مقابل نفسه أولاً، كما جاء في سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، فهي الآية الوحيدة من آيات الجهاد التي يقدم الله فيها النفس على المال، وذلك لما كانت السلعة غالية اقتضى أن يكون الثمن غالياً مثلها أيضاً.

ويتفرع عن الجهاد بالنفس الواجب على المؤمنين؛ الرباط، وتدريب المجاهدين، وإعدادهم، والاستطلاع لهم في ميادين المعركة... وغير ذلك من المجهودات البدنية التي تجب على المسلم القادر في هذه الأيام وجوباً عينياً، كما أجمع العلماء على ذلك، بأن أرض المسلمين إذا دهمها العدو فقد تعين الجهاد على كل مسلم قادر.

الأصل الثاني؛ من أصول السبل التي ذكرها الرسول ﷺ في الحديث المتقدم أيضاً، قوله (وأموالكم):

فالجهاد بالمال كثيراً ما يقرن في آيات الجهاد في القرآن، ويأتي مقدماً على النفس، لكنه ليس أعلى مرتبة من الجهاد بالنفس، كلا... ولكن لأن الجهاد بالمال هو النوع الذي تخاطب بها الأمة أجمع، إذ أن الكفاية بالرجال تحصل عند نفور عدد من رجال الأمة، ولكن المال لا تحصل كفاية المجاهدين به إلا إذا تكاتفت الأمة جميعها وضخت المال للمجاهدين الذي يعد عصب الجهاد، فالشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالمال هي أكبر من الشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالنفس، لذا قُدم الجهاد بالمال في آيات الجهاد لاعتبار سعة شريحة المخاطبين من رجال ونساء شباباً وشيوخاً صغاراً وكباراً، والله أعلم.

والجهاد بالمال ليس بالضرورة أن يكون قدراً كبيراً من المال يدفعه المؤمن، بل يدفع ما يبرئ به ذمته أمام الله تعالى، لأن المقصد من الجهاد بالمال إذا تعين؛ أن تسقط الواجب الذي في عنقك وتدفع القدر الذي تعتقد أن ذمتك ستبرأ عند الله تعالى بدفعه ولو كان يسيراً.

وكما قال الرسول ﷺ عند أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سبق درهم مائة ألف) قالوا: يا رسول الله وكيف؟! قال: (رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها).

فالله لا يقبل الصدقة بناءً على كميتها، ولكن يقبلها على حسب كيفيتها، كما روى أحمد وأبو داود عندما سئل الرسول ﷺ؛ أي الصدقة أفضل؟ قال: (جهد المقل)، أي صدقة الرجل المحتاج لماله الذي لا يملك إلا القليل.

فاتق الله، وقدم ما تجود به نفسك، ليس لمرة واحدة فقط بل اجعل للجهاد من دخلك نصيبا، بما أن الحرب قائمة والمجاهدون بحاجة للمال.

ويتفرع عن الجهاد بالمال لمن لم يكن له دخل ولا مال ينفقه؛ أن يجمع التبرعات من أهل اليسار ومن النساء والأطفال والخاصة والعامة، ومن لم يستطع أن يجمع المال بإمكانه أن يحرض على الجهاد بالمال ويطلب من المسلمين ألا يشحوا بأموالهم إذا ما طلبت منهم.

ويتفرع عن الجهاد بالمال أيضاً؛ أن يسعى كل قادر على إدارة الأموال بجمع رأس مال ويبني به مشروعاً يعود ريعه على المجاهدين بشكل دوري.

وهناك سبل أخرى كثيرة تتفرع عن الجهاد بالمال، وقد اتضح المقصود من تلك الأمثلة.

الأصل الثالث؛ من أصول السبل الرئيسية التي نص عليها الرسول ﷺ في حديثه المتقدم؛ الجهاد باللسان:

والجهاد باللسان شأنه عظيم وفي بعض الأحيان يكون أعظم من الجهاد بالأبدان – أقول؛ في بعض الأحيان وليس دائماً – كما

قال الرسول ﷺ في الصحيحين: (أهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل).

فالجهاد باللسان أمره عظيم، وهو المرحلة الأولى التي تتقدم مرحلة جهاد الأبدان والأموال، فلا يحرّض الناس للجهاد بأبدانهم إلا باللسان، ولا يحرّض الناس للجهاد بأموالهم إلا باللسان، فاللسان أمره عظيم، وهو النوع الوحيد المتيسر لجميع المكلفين فكل مكلف بإمكانه أن يجاهد بلسانه وبأي طريقة كانت.

ويتفرع عن الجهاد باللسان؛ تجلية حقيقة هذه الحرب الصليبية والهجمة التي تشن على الإسلام وفضحها، والذب عن المجاهدين والدفع عن أعراضهم، وذلك يكون بين خاصة الرجل وأهله، وبين عامة الناس في منتدياتهم وفي مساجدهم وأعمالهم ومدارسهم، فكل مسلم واجب عليه أن يجاهد بلسانه على قدر طاقته، والجهاد باللسان لا يشترط له شرط، بل كل كلمة علمها المكلف ويرى أن فيها فضحاً للصليبيين أو ذباً عن المجاهدين وجب عليه القول بها وبيانها للناس، والله أعلم.

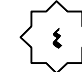
ويتفرع عن الجهاد باللسان؛ التأليف والنشر للمواد المحرضة على الجهاد بأنواعه، من كتاب وشريط ونشرة وغيرها، ومن عجز عن التأليف فعليه توزيعها باليد أو بالفاكس أو بالبريد.

ومن الجهاد باللسان أيضاً؛ كتابة المقالات في الصحف والنشرات والدوريات، والكتابة عبر شبكة الإنترنت والمراسلة عبر البريد الإلكتروني لآلاف الناس، للمنافحة عن الإسلام في كل ميدان.

وطرق الجهاد باللسان كثيرة وقد مثلت لها بما يوضحها، والله أعلم.

الأصل الرابع: من أصول جهاد العدو؛ جهاد العدو بالقلب:

وهذا الأصل هو أول الأصول ترتيباً وأهمها، ولكني أتيت به رابعاً لأن النبي ﷺ لم يذكره في النص الذي تناولنا الحديث عنه، إلا أن هذا الأصل هو ركن من أركان الإسلام ولا يقبل الله الإسلام من دونه، والنصوص كثيرة جداً التي توضح معنى جهاد القلب للأعداء.

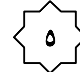


فأول معاني جهاد القلب؛ بغض الكفار وما هم عليه ومن والاهم وعدم محبتهم والكفر بهم والكفر بمعبوداتهم، فمتى انتفى عن العبد جهاد القلب تجاه عدوه فإنه كافر بالله العظيم، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، وقال كما هي ملة إبراهيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، وقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، والآيات الدالة على أن جهاد القلب للأعداء ركن من أركان الدين كثيرة لا يسع المقام لحصرها.

هذا توضيح بسيط للمهام المناطة في عنق كل مسلم مكلف في هذه الأيام في مقابلة الحرب الصليبية التي بدأت منذ قرون واشتدت وكشرت عن أنيابها في يوم الأحد [١٤٢٢/٧/١٩ هـ] وذلك بقصفها للإمارة الإسلامية في أفغانستان، نسأل الله أن يرد كيد المعتدين وينصر دينه وأولياءه ويعلي كلمته.

وأختم بتنبيه بسيط: وهو ألا ينظر العبد إلى الحديث السابق وإلى ترتيب رسول الله ﷺ للجهاد بالمال والنفس واللسان، فيظن أن هذا الترتيب يدل على الأولوية، فإن الـ "واو" التي جاءت بين هذه الأنواع لا تدل على الترتيب أو التعقيب إنما تدل على مجرد العطف، فالتقديم والتأخير هنا لا يدل على الأولوية، فترتيبها؛ أن جهاد القلب هو الأعظم، من ثم يليه جهاد النفس، وبعدهما جهاد المال ثم اللسان، وقد يأتي في حالات خاصة ولأشخاص محددين؛ جهاد اللسان مقدماً على النفس أو المال على النفس... وهكذا، ولكن كحكم عام؛ فإن الترتيب الذي ذكرته هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة، والله أعلم.

فليتق الله كل عبد، وليعلم أن الله سبحانه وتعالى سائله عن جهاده، فإن قصّر وعمل بالأدنى – وهو اللسان – وترك الأعلى – وهو الجهاد بالبدن – فإن هذا لا يبرئ ذمته، واعلم أن الأدنى لا يسقط الأعلى بحال.







دورنا في نصرة الإسلام

إضاءات على طريق الجهاد

للشيخ الشهيد

يوسف العييري